



بعد أن انفضَّ المؤتمر من المعارضة السورية في "الرياض 2" وأشباههم، ونجح مؤتمرهم في التوسعة والتغيير المطلوبين، يسأل سوريون كثيرون عما أنجزه هؤلاء، وهل خرجوا بما هو مطلوب دولياً أم بما تتطلبه القضية السورية، بوصفها قضية عادلة لشعبٍ خرج في ثورة منذ أكثر من ست سنوات، مطالباً بالحرية والخلاص من استبداد حكم آل الأسد؛ ولعل الناظر في حيثيات المؤتمر ومخرجاته، بدءاً من التحضير له وتجاوز الهيئة العليا للمفاوضات، ثم استقالة منسقيها العام رياض حجاب وعدد من أعضائها، مروراً بالبيان الختامي وملابسات كيفية انتخاب أعضاء الهيئة وتعيينهم، وصولاً إلى تشكيل الوفد التفاوضي الجديد، يجد أن الكفة لم تكن في صالح غالبية السوريين وثورتهم، ذلك أن إدخال أعضاء من منصتي موسكو والقاهرة إلى الهيئة كان أحد شروط الروس، لكي تنال قسطاً من رضاهم واطمئنانهم على اقتراب الهيئة من أجندتهم، خصوصاً وأنهم شكلوا، إضافة إلى أعضاء "هيئة التنسيق"، التي تتمتع بازداوجية فريدة منذ بداية تشكيلها، مكنتها من وضع قدم في مقلب المعارضة وأخرى في مقلب النظام، الأمر الذي يجعل كفة القرار في الهيئة العليا للتفاوض تميل نحوهم، وتبتعد عن مطلب الثورة الأساس، رحيل النظام وأركانه، على الرغم من أن البيان الختامي ذكر رحيل الأسد وزمرته، لكنه استدرك، ملاقياً جماعة موسكو وحابياً لها، من خلال ترك الباب مفتوحاً للتفاوض المباشر من دون شروط مسبقة على كل شيء، وكل القضايا الخلافية والإشكالية، بما فيها "منصب رئاسة الجمهورية"، حيث تفيد التجارب بأن من يدخل أي عملية مفاوضات أو تسوية سياسية من دون أسس أو محدّدات (يسمونها بعضهم شروطاً)، سيخضع لمختلف إملاءات القوى المؤثرة وضغوطها، بناء على حسابات اللاعبين وتوازناتهم على الأرض والتجاذبات والمماحكات الإقليمية والدولية. وبالتالي، فإن كل الكلام الذي ساقه البيان عن التمسك بالقرارات الأممية، بدءاً من بيان جنيف 1 لعام 2012 وصولاً إلى قرار مجلس الأمن 2118 لعام 2013 و2254 لعام 2015، يصبح تمسكاً بيدين مغمورتين بصابونٍ سائل أو بالزيت أو بأي سائل لزج آخر، إذ سرعان ما ستفلت الدقة من بين يديه، ويتنازل عن كل شيء في مقابل لا شيء، خصوصاً وأن الوفد

التفاوضي الجديد ليس على رأي واحد، وسيواجه قوىً تدافع بشراسة من أجل بقاء الأسد الكيمياء ونظامه المجرم، ما يعني أن كل شيء سيضيع على أيدي القادمين الجدد والهيئة الجديدة ووفدها التفاوضي .

أنجز "الرياض 2" ما كان يخشاه سوريون كثر، في تبني ما كانت تطالب به القوى الدولية، وهو الواقعية السياسية التي تملئها ضرورة الأخذ بالحسبان المتغيرات على الأرض، وتغيرات المواقف الدولية حيال القضية السورية، إذ تبين أن الواقعية المطلوبة جسدها التكيف مع المطالب والشروط التي وضعها ساسة الكرملين وسواهم. وبالتالي، فإن المآزق الحقيقي للمجتمعين في المؤتمر، من المعارضة السورية وأشباهاها، لا يجسده البيان الختامي فقط، بل يجسده انضمام عناصر أقل ما يقال عنهم إنها معارضة موالية للنظام، أو بصريح العبارة هم صنيعة أجهزة دول حليفة للنظام في حربه ضد الشعب السوري، وما تبقى من كلامٍ عن إمكانات المناورة وطرق التنفيذ وحسن التخطيط وفعالية الأداء، لن يخفي المآزق الحقيقي للمعارضة السورية التي تزداد تمييزاً وهلامية مع كل مؤتمر يعقد بناء على رغبة الدول الخائضة في دم السوريين .

ولا يُنسى أن في المقلب الآخر أصعب المواقف، حيث لم يقدم النظام الأسد أي تنازل منذ بداية الثورة، بل تهادى وأمعن في قتله السوريين، بمختلف أنواع الأسلحة، بما فيها الكيمياء، ولم يدخل في عملية تفاوضٍ حقيقية، لا في جنيف ولا في سواها، ولم يعترف يوماً بوجود معارضة له، إلا من هم على شاكلته، ومن صنعتهم أجهزته الاستخباراتية، وفعل ذلك كله بحماية وإسناد من النظام الروسي ونظام الملالي الإيراني، اللذين دافعا عنه في كل المحافل الدولية، ووقفوا معه في كل ممارساته الإجرامية. وبالتالي من المستغرب أن تميل المعارضة السورية إلى المدافعين عن النظام، باستيعاب ممثلين، بل ودمجهم في صفوفها. ولذلك لن يكون مستغرباً زهاب بعض أعضاء الهيئة العليا للتفاوض إلى مؤتمر سوتشي الذي يحضر له النظام الروسي، بغرض قتل مطالب السوريين العادلة في التغيير السياسي. ولن نذهب بعيداً ونحلق عالياً، بل سنلجأ إلى الحسابات البسيطة الواضحة، فالهيئة العليا للتفاوض تضم، في تركيبها الجديدة، أربعة أعضاء من منصة موسكو ومثلهم من منصة القاهرة، وهؤلاء سيحضرون مؤتمر سوتشي "للشعوب السورية"، بل وأعلنوا ذلك قبل الذهاب إلى مؤتمر الرياض 2، كما سيذهب معهم أيضاً ستة أعضاء من هيئة التنسيق التي تنسق مواقفها مع ساسة موسكو، وتحظى بدعمهم وحمايتهم، وهناك آخرون ضمن الهيئة يتحضرون للذهاب معهم أيضاً. وبالتالي، ألم ينقل ذلك المعارضة السورية إلى حضيض المواقف، ويبعدها تماماً عن الثورة وطموحات غالبية السوريين؟ أليست هذه هي منجزات مؤتمر الرياض 2 للمعارضة السورية ومخرجاته؟

المصادر:

العربي الجديد